

# ثقافة الإحسان.. سفراء التطوع نموذج

زيد الفضيل



@zash13

نعلم بأن الإحسان درجة عالية في منظومتنا الدينية، وتكمن قوته في وصول الروح المؤمنة إلى قدر كبير من الشفافية بحيث تعيد لها كإنها تراه، فإن لم تكن تراه فإيمانها كبير بأنه قريب منها برحمته وعلوه، ومطلع على أحوالها بطفه ومغفرته، ويعلم خائنة الأمين وما تخفي الصدور. إنها صورة عظيمة من الإيمان التي ليس صعبا على أحد بلوغها، فلم يكن الله يجعل أمرا محالا بلوغه، وذلك من لطفه ورحمته بعباده.

وواقع الحال فالإحسان بذلك المفهوم المتفق عليه هو سلوك يمكن لأي أحد بلوغه بالتنشئة التربوية السليمة، وهو ما يمكن استجلائه من حديث نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- في قوله: (بينما رجل يمشي فاشفت عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا، قال: في كل كبد رطبة أجر)، وتبينه عليه الصلاة والسلام من التهاون في الالتزام بسلوك الإحسان بقوله: (دخلت امرأة النار في هرة؛ ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض). ولذلك فقد جاءت السنة المطهرة لتؤكد على فضل مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم مصداقا لقول نبينا: (أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعا،

ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)؛ كما جاءت الذاكرة الشعبية لتعزز بأمثالها المتعددة ذلك السلوك السوي ومن ذلك قولهم: الناس بالناس والكل بالله، وقولهم: قوم تعاونوا ما نالوا.

**ويمكن أن تتعدد صور الإحسان في حياتنا لتمثل في إطارها الفردي بأعمال التطوع المختلفة، التي يتوجه إليها الفرد من لقاء نفسه، انطلاقا من مبادئ وقيم نشأ عليها، فبذل الجهد والوقت والمال والفكر في خدمة من توجه له بتطوعه وديون انتظار عائد مادي في المقابل؛ وقد كان ذلك سلوفا شائعا في مجتمعنا سابقا حين كانت القرية بحقولها الزراعية تجمعهم؛ والمدينة بسورها تضمهم، فكانوا جميعا يدا واحدة في السراء والضراء، رجالا ونساء، شبانا وكهولا، فقراء وأغنياء.**

على أن ذلك السلوك السوي قد أخذ في التراجع مع تلاشي مفهوم القرية والمدينة القديمة أمام طغيان ثقافة المدينة الكونية المعاصرة، التي أعادت إنتاج العمل التكافلي في صيغة جديدة وبشكل مؤسسي عبر ما يعرف بجمعيات العمل الخيري. وكان الغرب بحكم مدنيته المبكرة سباقا إلى الاهتمام بالعمل التطوعي، ليبلغ عدد المنتمين لثقافة الإحسان في

التعليمية أو بمجموعة من الأفراد تشترك في المصالح والولاءات الخاصة فيما بينها، وهذا ما يعكس سلبا على الأداء العام، وعلى التخطيط الاستراتيجي والتنفيذ الميداني، وبالتالي تكون سببا مباشرا في تفاقم مشاكل كبيرة على مستوى الاقتصاد والاستقرار المجتمعي، منها على سبيل المثال مشكلة البطالة وتزايد معدلاتها.

سأعطيكم مثلا يوضح ما أرمي إليه من معنى، وقد سبق وأن عرضته في أكثر من مقال، ولا بأس من إعادته وتكراره، فلعل في إعادة إفادة أو كما يقال التكرار يعلم (الشطار): في إحدى الجامعات الناشئة والمستنسخة برامجها من جامعة محلية مجاورة، اعتمد مجلسها اللغة الصينية لغة ثانية للتدريس والبحث العلمي، ليست لغة اختيارية لتعلمها وإتقانها وإنما اللغة الثانية بعد اللغة العربية في التدريس، بمعنى التعلم بها وليس مجرد تعليمها، وهذا يستلزم أن تكون الجامعة صينية الهوية والطابع أو على الأقل محاكاة بسور من الصينيين حتى تستطيع إنجاز هذا القرار شبه المستحيل!

وربما هذا القرار جاء لأن إدارة الجامعة كانت كثيرها من الإدارات السطحية تأمل أن تأتي بأي شيء يعزز من حضورها الشكلي أمام المسؤولين، فطلت في قرارها توافقا وانسجاما شكليا مع توجه الدولة نحو الصين كدولة عظمى وذات ثقل سياسي وحضور اقتصادي، وكان المهم عند هذه الإدارة أن يبدو قرارها قرارا متناغما مع ذلك التوجه بغض النظر عن مدى إمكانية تطبيقه أو توفر فرص حقيقية لنجاحه، مع العلم أن الدولة عادة لا تدعو لمثل هذه القرارات الخبط عشواء، وهي المعروف عنها الحكمة وبعد النظر، ولا أظن حتى أكثر المتفائلين من الصينيين كان يتوقع مثل هذا القرار!

هذا المثال البسيط يبين اليون الشائع بين ما يفكر فيه سمو ولي العهد ويخطط له وبين ما تتخبط فيه مثل هذه الإدارات الجامعية، أي نعم سمو ولي العهد بنظرة الهامه النظر وحده السياسي والاقتصادي المميز يدرك أهمية الصين كبلد عملاق وشريك استراتيجي مهم على مختلف الصعد، إلا أنه يعلم أن الطريق إليها ثقافيا وعلميا لا يتأتى هكذا فجأة، ولا يتحقق بهذا قرارات، وبالتالي لا يمكن الاعتماد على هذه النوعية من الإدارات، ولعل في قرار الوزارة الخاص بتدريس اللغة الصينية في مراحل التعليم العام كمقرر اختياري خطوة أولى صحيحة نحو فتح نوافذ حقيقية على الثقافة الصينية.

**كنا سنقبل قرار التدريس باللغة الصينية في هذه الجامعة أو في غيرها لو كان رئيس الجامعة نفسه ومعه ثلثة من أساتذتها مثقفين وغارقين في الأدب الصيني العريق حد الضمالة، أو كانوا كمجتمع أكاديمي يتعلمون الصينية منذ عقود، أو كان الصينيون أنفسهم يقطعون المسافات ويعبرون البحار والمحيطات ويخترقون الأجواء والشاشات تعليميا ونشرا لثقافتهم ولغاتهم المتعددة، أما وأن هذا لم يحدث ولن يحدث على الأقل في المستقبل القريب، فإن الأولى مراجعة أداء الإدارات الجامعية ووضع حد لقراراتها المتسرعة وغير المنطقية وترشيد عملها بما يسهم في إنجاز دورها الحقيقي لا (البروباغندي).**

ولو أننا ركزنا على لغتنا العربية الجميلة، وأخذنا بنصيحة سمو الأمير خالد الفيصل الأخيرة «عرب وليدك» وتخططنا من كل الثقافات الأجنبية حسب الحاجة والذائقة الرفيعة لكان خيرا لنا، ولو توقفت بعض الإدارات الجامعية عن الاندفاعات غير المحسوبة أو تم استبعادها عن المشهد الأكاديمي بإدارات شغوفة ومحبة للعمل لاستكثرتنا من الخير وما مسنا من لغوب!

يعرف الكثيرون تلك القصة التي تم تداولها على نطاق واسع بعد تسريب رسائل البريد الالكتروني للمرشحة للرئاسة الأمريكية لعام 2016 هيلاري كلينتون حينما سرب لها واحدة من الرسائل التي تصف طريقة رد فعل الأمير الراحل سعود الفيصل في واحدة من أكثر القضايا حساسية، كتبت: حذرت وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل من إرسال قوات درع الجزيرة لكنه أغلق الهاتف في وجهي. يؤكد ذلك - بصيغة أكثر احتراما لذاتها - ما ذكرته عبر كتاب مذكراتها (خيارات صعبة) الذي أصدرته عام 2013 - 2014 وهي تصف حال دخول قوات درع الجزيرة «لم يروا ضرورة لإبلاغ الولايات المتحدة، ولم ينووا كذلك سؤالنا أو سماع أي توسل لوقف هذه العملية».

## تخطيط الإسكان وتمكين الأسر الأشد حاجة

لقد تزايد نمو السكان الفقراء في البلدان النامية نتيجة الهجرة من المدن الصغيرة والقرى نحو الحواضر الكبرى. وبحلول عام 2025 تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن ما يقارب ثلثي سكان العالم سيعيش في المناطق الحضرية، وسوف يتركز أكثر من 97% من هذا النمو للمجموعات الاقتصادية منخفضة الدخل. وهكذا فإن نقص البيئات السكنية الملائمة لاستيعابهم سوف يمثل تحديا كبيرا يواجه إدارات المدن في الدول النامية. كما تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن واحدا من كل ثمانية أشخاص في جميع أنحاء العالم يعيشون في مناطق غير مناسبة للاستيطان البشري، حيث تواجه الأسر تحديا في الحصول على مسكن يتوافق مع حدود القدرة الاقتصادية.

إن حجم الإنفاق على الإسكان يشكل معضلة كبرى لكونه يستنزف نسبة كبيرة من الدخل وهو ما يؤثر بلا شك على مستويات الإنفاق لبقية الاحتياجات الإنسانية مثل الطعام، والصحة، والتعليم، والترفيه، ويمكن أن يصل حجم الإنفاق على الإسكان في كثير من الدول النامية إلى أكثر من 50% من إجمالي دخل الأسر. لقد أصبح هؤلاء الفقراء في سباق محموم ليس له نهاية من أجل توفير متطلبات الحياة الكريمة. إنهم يلهثون من أجل لقمة العيش؛ هم كما الأغنياء تماما يلهثون أيضا ولكن من أجل هضم ما أكلوه من طعام!

**تسعى الجهات المخططة بالإسكان إلى تطوير سياسات لتعزيز القدرة على تملك المسكن أو لسد الفجوة بين دخل الأسرة ومعدل إنفاقها على الإسكان. وإجمالاً، تختلف هذه البرامج أو المشاريع من دولة إلى أخرى لتشمل طرق دعم مباشر كالتقروض السكنية، أو إعانات الترميم، أو بناء الوحدات السكنية الجاهزة، أو قسائم الدعم.** كما يمكن أن تتضمن هذه البرامج أساليب غير مباشرة مثل الإعفاء الضريبي أو دعم صناعة البناء، أو تحفيز القطاع العقاري، أو خفض استهلاك الطاقة، في الحقيقة، إن قياس قدرة الأسر على تحمل تكاليف الإسكان يخضع لعوامل ومتغيرات تتحور في مجملها حول تكلفة المسكن وعلاقته بمستويات الدخل. وتوصي العديد من الدراسات ألا يزيد معدل إنفاق الأسرة على المسكن 30% من إجمالي دخلها وبشكل يحافظ على ميزانية الإنفاق. وفي معظم الأحوال، لا يمكن الاعتماد على مؤشر دخل الأسرة كمحدد رئيس لقياس القدرة على تحمل تكاليف الإسكان بمعزل عن تحليل سوق الإسكان في المدينة، حيث تنفق بعض الأسر بمعدلات مرتفعة في مدينة ما؛ بينما تنفق بعض الأسر أقل في مدينة أخرى. وتشير تقديرات البنك الدولي أن قيمة الأرض السكنية يمكن أن تستهلك 50% من تكلفة المسكن في مدينة كالرياض؛ بينما يمكن أن تصل هذه النسبة إلى 70% في مدينة الكويت وأكثر من 85% في سنغافورة. لذلك، تشير العديد من الدراسات إلى أن سوق الإسكان المتوازن هو الذي يوفر مساكن بأسعار معقولة للأسر التي يعادل دخلها 60% فأقل من متوسط دخل الأسر في المدينة.

إن الخطوة الهامة للوصول إلى معايير واضحة للدعم السكني للأسر الأشد حاجة يمكن أن تبدأ من تطوير قاعدة بيانات إسكانية تتضمن تصنيف فئات الدخل في المدن بما يتماشى مع متوسط تكلفة المسكن الميسر في كل مدينة ضمن إطار السوق العادل. ويعتمد هذا التصنيف على حساب متوسط الدخل العام للأسر في المدينة ومقارنته مع حدود الدخل لكل فئة مستحقة للدعم. ثم منح إعانات تمويل متفاوتة بناء على الدخل، فالأسر التي دخلها يعادل 30% من متوسط الدخل العام في المدينة تستحق مستوى إعانة أعلى من الأسر التي دخلها يعادل 60% من متوسط الدخل العام في المدينة. وأخيرا، تنوع أساليب الإعانة المقدمة لهذه الفئات ورفع المستوى الاقتصادي لها للخروج من دائرة الاحتياج إلى منطقة الاستقرار الاقتصادي.

المقدم فاروق عبدالحميد الفقي. وبعد الزواج بدأ يمداه بالمعلومات دون أن يشعر، مما حقق خسائر فادحة للجيش المصري، أثناء الحرب مع إسرائيل في تلك الفترة. **وحيثما كشفت مصر عن مصدر تسريب المعلومات لإسرائيليين، أمرت بإعدام الفقي فوراً، وحين علمت إسرائيل بخبر إلقاء القبض على هبة سليم، قامت بالضبط على الرئيس المصري الأسبق أنور السادات وأرسلت له وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر لتخفيف الحكم، فأمر بإعدامها فوراً ليقطع الطريق أمام الضغط الأمريكي والإسرائيلي.**

قبل إلقاء القوس، هاتان الحادثتان جسدتا درسا مهما في السياسة، لخصه هنري كيسنجر في مقولة له «لا أحد يتنازل ثم يساوم».

هذه الحادثة تذكرني أيضا بحادثة أخرى تتقاطع مع مضمونها، ذكرت في كتابي (أسوأ النساء في التاريخ) وهي حادثة أبكت رئيسة وزراء إسرائيل السابقة (جولدا مائير) وكانت تدور وقائعها الأساسية في مصر، تحديدا في النصف الثاني من القرن الماضي. حيث سافرت طالبة تدعى هبة سليم للدراسة في فرنسا، وتعرفت على فتاة بولندية قيل أن تصبحا صديقتين مقربتين، حيث عرفتها الأخيرة على مجموعة من الشباب اليهودي، وبعد عدة لقاءات اقترحوا عليها لقاء أحد عملاء (الموساد) فتطوعت لديها لمساعدتهم بدون مقابل.

ودفعوها للزواج من أحد معارفها الذين كانت لا ترغب به، لكنه كان يتقلد مناصبا هاما وهو مدير مكتب قائد سلاح الصاعقة

صورتها التطوعية الملايين في مختلف المجالات والتخصصات.

ونحن اليوم لم نعد ببعيدين عن هذا السلوك السوي في صورته المؤسسية، حيث أبانت الأحداث عن همة عالية في نفوس أبنائنا وبناتنا الذين سارعوا إلى تقديم أنفسهم وقت الحاجة، مستحضرين ما تخرزته ذاكرتهم الوجدانية من قيم نبوية وسلوك مجتمعي تكافلي، وكان أن برز أولئك بشكل مشهود مع كارثة السيول بجدة قبل عقد من الزمان، فشكلت تلك الحادثة نقطة لولادة عدد من الجمعيات التطوعية، وأدها جمعية سفراء التطوع التي تأسست رسميا العام الفائت، وقدمت خلال مسيرتها القصيرة كثيرا من المبادرات التي تزيد على الثلاثمائة، كما فاق عدد المستفيدين من برامجها ومبادراتها على الأربع وعشرين ألف إنسان، وزاد عدد المتطوعين فيها على الأربعة آلاف إنسان ذكورا وإناثا، وجميعهم يبذلون قدرا كبيرا من جهودهم ووقتهم دون عائد مادي بتاتا.

ومع تاييدي لقيمة ما يقدمونه من إحسان خالص لوجه الله، ودعائي ودعاء الناس لهم ظاهرا وباطنا، إلا أنني أرفع صوتي مناديا الجهات المعنية بتقنين برنامج عملي لمكافأة أولئك الشباب، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، وحقما فتقدير مكافأة بسيرة تساعدهم على دفع تكلفة التنقل على الأقل كغاية بتقديم أبلغ الشكر لهم، ناهيك عن اعتماد تقييم شهادات خدمتهم التطوعية في دراساتهم إن كانوا طلابا، ومواقع عملهم إن كانوا موظفين.

لقد تزايد نمو السكان الفقراء في البلدان النامية نتيجة الهجرة من المدن الصغيرة والقرى نحو الحواضر الكبرى. وبحلول عام 2025 تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن ما يقارب ثلثي سكان العالم سيعيش في المناطق الحضرية، وسوف يتركز أكثر من 97% من هذا النمو للمجموعات الاقتصادية منخفضة الدخل. وهكذا فإن نقص البيئات السكنية الملائمة لاستيعابهم سوف يمثل تحديا كبيرا يواجه إدارات المدن في الدول النامية. كما تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن واحدا من كل ثمانية أشخاص في جميع أنحاء العالم يعيشون في مناطق غير مناسبة للاستيطان البشري، حيث تواجه الأسر تحديا في الحصول على مسكن يتوافق مع حدود القدرة الاقتصادية.

إن حجم الإنفاق على الإسكان يشكل معضلة كبرى لكونه يستنزف نسبة كبيرة من الدخل وهو ما يؤثر بلا شك على مستويات الإنفاق لبقية الاحتياجات الإنسانية مثل الطعام، والصحة، والتعليم، والترفيه، ويمكن أن يصل حجم الإنفاق على الإسكان في كثير من الدول النامية إلى أكثر من 50% من إجمالي دخل الأسر. لقد أصبح هؤلاء الفقراء في سباق محموم ليس له نهاية من أجل توفير متطلبات الحياة الكريمة. إنهم يلهثون من أجل لقمة العيش؛ هم كما الأغنياء تماما يلهثون أيضا ولكن من أجل هضم ما أكلوه من طعام!

**تسعى الجهات المخططة بالإسكان إلى تطوير سياسات لتعزيز القدرة على تملك المسكن أو لسد الفجوة بين دخل الأسرة ومعدل إنفاقها على الإسكان. وإجمالاً، تختلف هذه البرامج أو المشاريع من دولة إلى أخرى لتشمل طرق دعم مباشر كالتقروض السكنية، أو إعانات الترميم، أو بناء الوحدات السكنية الجاهزة، أو قسائم الدعم.** كما يمكن أن تتضمن هذه البرامج أساليب غير مباشرة مثل الإعفاء الضريبي أو دعم صناعة البناء، أو تحفيز القطاع العقاري، أو خفض استهلاك الطاقة، في الحقيقة، إن قياس قدرة الأسر على تحمل تكاليف الإسكان يخضع لعوامل ومتغيرات تتحور في مجملها حول تكلفة المسكن وعلاقته بمستويات الدخل. وتوصي العديد من الدراسات ألا يزيد معدل إنفاق الأسرة على المسكن 30% من إجمالي دخلها وبشكل يحافظ على ميزانية الإنفاق. وفي معظم الأحوال، لا يمكن الاعتماد على مؤشر دخل الأسرة كمحدد رئيس لقياس القدرة على تحمل تكاليف الإسكان بمعزل عن تحليل سوق الإسكان في المدينة، حيث تنفق بعض الأسر بمعدلات مرتفعة في مدينة ما؛ بينما تنفق بعض الأسر أقل في مدينة أخرى. وتشير تقديرات البنك الدولي أن قيمة الأرض السكنية يمكن أن تستهلك 50% من تكلفة المسكن في مدينة كالرياض؛ بينما يمكن أن تصل هذه النسبة إلى 70% في مدينة الكويت وأكثر من 85% في سنغافورة. لذلك، تشير العديد من الدراسات إلى أن سوق الإسكان المتوازن هو الذي يوفر مساكن بأسعار معقولة للأسر التي يعادل دخلها 60% فأقل من متوسط دخل الأسر في المدينة.

إن الخطوة الهامة للوصول إلى معايير واضحة للدعم السكني للأسر الأشد حاجة يمكن أن تبدأ من تطوير قاعدة بيانات إسكانية تتضمن تصنيف فئات الدخل في المدن بما يتماشى مع متوسط تكلفة المسكن الميسر في كل مدينة ضمن إطار السوق العادل. ويعتمد هذا التصنيف على حساب متوسط الدخل العام للأسر في المدينة ومقارنته مع حدود الدخل لكل فئة مستحقة للدعم. ثم منح إعانات تمويل متفاوتة بناء على الدخل، فالأسر التي دخلها يعادل 30% من متوسط الدخل العام في المدينة تستحق مستوى إعانة أعلى من الأسر التي دخلها يعادل 60% من متوسط الدخل العام في المدينة. وأخيرا، تنوع أساليب الإعانة المقدمة لهذه الفئات ورفع المستوى الاقتصادي لها للخروج من دائرة الاحتياج إلى منطقة الاستقرار الاقتصادي.

المقدم فاروق عبدالحميد الفقي. وبعد الزواج بدأ يمداه بالمعلومات دون أن يشعر، مما حقق خسائر فادحة للجيش المصري، أثناء الحرب مع إسرائيل في تلك الفترة. **وحيثما كشفت مصر عن مصدر تسريب المعلومات لإسرائيليين، أمرت بإعدام الفقي فوراً، وحين علمت إسرائيل بخبر إلقاء القبض على هبة سليم، قامت بالضبط على الرئيس المصري الأسبق أنور السادات وأرسلت له وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر لتخفيف الحكم، فأمر بإعدامها فوراً ليقطع الطريق أمام الضغط الأمريكي والإسرائيلي.**

قبل إلقاء القوس، هاتان الحادثتان جسدتا درسا مهما في السياسة، لخصه هنري كيسنجر في مقولة له «لا أحد يتنازل ثم يساوم».

opinion@makkahnp.com

2021.05.09  
الأحد 27 رمضان  
1442  
العدد 2583 (السنة الثامنة)

15

# رأي

ما نتعاون

مؤسسة مكة للطباعة والإعلام

# مكة

المكرمة • Makkah AlMukarramah

رئيس مجلس الإدارة  
**عبدالعزیز بن محمد عبده يمانی**

المدير العام المكلف  
ورئيس التحرير  
**موفق بن سعد النويصر**  
alnowaisir.m@makkahnp.com

مدير مركز المحتوى الإبداعي  
**علي حسين بن مطير**  
muter.a@makkahnp.com

المركز الرئيسي: مكة المكرمة

هاتف: 0125201733 ص.ب. 5803  
فاكس: 0125203055 الرمز البريدي 21955

فاكس الإعلانات: 0125201423  
فاكس الاشتراكات: 0125200734  
الاشتراكات: 0504720131

مككاه@makkahnp.com

الرياض

جوال: 0500675899 ص.ب. 25162  
فاكس: 0114066991 الرمز البريدي 11466

فاكس الإعلانات والاشتراكات: 0114066991

gov@makkahnp.com

جدة

هاتف: 0126570402 ص.ب. 51787  
فاكس: 0122345938 الرمز البريدي 21553

gov@makkahnp.com

المدينة المنورة

جوال: 0506511196  
gov@makkahnp.com

الدمام

جوال: 0504178354  
gov@makkahnp.com

رقم الإيداع: 1762/1435  
رصد: 6646-1658

الرقم الموحد: 920003453